«الايمان فطرة في الانسان»

الحديث الأول:

عن أبي هُرَيْرة رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «كلُّ مولُودٍ يولدُ على الفِطرةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدانه، أو ينصِّرانَه، أو يمجِّسانه، كما تُنتَج البَهيمةُ بهيمةً جَمعاء، هَلْ تُحسُّون فيها مِنْ جَدْعاء؟ ثم يقولُ أبو هُريرة واقْرأوا إن شِئتُم:

﴿فطرةُ الله الَّتي فطر الناس عليْها لا تبْديلَ لخلْقِ اللهِ، ذلِك الدِّين القيِّم ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعْلَمُون﴾ (١).

«رواه البخاري»

الابحاث العربية:

كلٌّ: لفظ من ألفاظ العموم، يفيد الاستغراق والشمول، مثل قوله تعالى: **﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ﴾** (٢) وكقول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النّظرِ ومُعْظمُ النّارِ من مستصغر الشَّرر

مولود: أي مخلوق، وهو الجنين الذي خرج من بطن الأم سواء كان ذكراً أو أنثى.

قال الشاعر العربي في التذكير بالمنشأ والمصير:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناسُ حولك يضحكون سروراً
فاعمل لنفسك ان تكون إذا بكوا في يوم موْتك ضاحكاً مسروراً

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥، وسورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

الفطرة: المراد بها الدين الحنيف مشتق من فَطَر بمعنى خلق ومنه قوله تعالى: ﴿وما لي لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرني وإليهِ تُرْجَعون﴾؟[1]. وقول النبي ﷺ للبراء بن عازب بعد أن علّمه دعاء النوم: «فإن متَّ مت على الفطرة» أي انك إذا قلت هذا الدعاء ثم متَّ من ليلتك تموت على الايمان وعلى الدين الحنيف.

يهوّدانه: أي يجعلانه يهودياً، وهو مشتق من هاد بمعنى تاب قال تعالى ﴿واكتبْ لنا في هذهِ الدُّنْيا حسنةً وفي الآخرة إنا هُدْنا اليك..﴾[2] أي تبنا ورجعنا، والمراد من التعبير (يهوّدانه) أن الأبوين يخرجانه من الاسلام الفطري الى اليهودية الضالة.

ينصّرانه: أي يجعلانه نصرانياً، والنصارى هم اتباع عيسى عليه السلام وهم يسمون أنفسهم مسيحيين والقرآن الكريم سمَّاهم نصارى، وهم أهل الانجيل، وقد نسخت شريعتهم كما نسخت شريعة اليهود بعد بعثة محمد ﷺ، فأصبح دينهم باطلاً غير مقبول عند الله، قال تعالى: ﴿ومنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقْبلَ منهُ وهو في الآخرة من الخاسرينَ﴾[3].

يمجّسانه: أي يجعلانه مجوسياً، والمجوس عم عبّاد النار أو عبدة الشمس والقمر وغيرها من المعبودات الكونية، والمجوس موجودون في زماننا بكثرة وهم يعبدون الكون أو يعبدون الشجر والبقر، وهم مشركون ليس لهم كتاب سماوي.

---

(١) سورة يس، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

تنتسج: مضارع مبني للمجهول بمعنى تولد وتُخلق وهو مشتق من الرباعي (أنتج) لا من الثلاثي.

البهيمة: اسم للدابة التي لا تعقل، وقد يشبّه بها الرجل الأحمق ناقص العقل والتفكير.

كما قال الشاعر العربي:

« ابنيّ إن من الرجال بهيمةً في صورة الرجل السميع المبصرِ »
« فَطِنٌ بكل مصيبةٍ في ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعرِ »

جمعاء: أي كاملة الخلقة، ليس فيها نقص أو تشويه.

هل تحسون: أي هل تشعرون بنقص فيها أو هل ترون وتجدون فيها نقصاً، وهو مشتق من (أحسّ) الرباعي قال تعالى: ﴿**فلمّا أحسّوا بأسَنا إذا هم منها يَرْكُضون**﴾ (١)

جدعاء: أي مقطوعة الأنف أو الأذن مشتقة من جدع بمعنى قطع ومنه قوله ﷺ: « مَنْ قَتَلَ عبده قتلناه، ومن جَدَعَ عبده جَدَعْناه » وفي الأمثال (لأمرٍ ما جدع قصير أنفه).

الأبحاث البلاغية:

١ - قوله (يولد على الفطرة) كناية عن النشأة الطيبة، والعقيدة السليمة، التي هي عقيدة التوحيد الخالص.

٢ - قوله (فأبواه) المراد به الأب والأم، فهو من باب (التغليب) مثل (العمرين) أي أبي بكر وعمر، و(القمرين) أي الشمس والقمر. و(الأسودين) أي التمر والماء.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٢.

٣ ـ قوله (يهوّدانه، ينصّرانه، يمجسّانه): استعمال هذه الأفعال في صيغة المضارع تفيد التجدد والثبوت.

٤ ـ قوله (كما تنتج البهيمة) فيه تشبيه لطيف بديع يسمى (التشبيه التمثيلي). فقد مثل ﷺ للمولود الذي يلد على الإيمان، بالشاة التي تلد كاملة الأعضاء والخلقة، ثم يعتريها النقص من البشر أنفسهم، فيقطعون أذنها أو أنفها ويشوهونها، كذلك الطفل يولد موحداً مؤمناً، ثم تفسد عقيدته وتتلوث بالتربية السيئة والبيئة الفاسدة.

٥ ـ قوله (جمعاء وجدعاء) بينهما جناس لطيف، وهو من المحسنّات البديعية، وهو جناس ناقص لتغير بعض الحروف بين الكلمتين مثل (الخيل، والخير) في قوله ﷺ: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامةِ». ولا يخفى ما للجناس من وقع في الحس، وتأثير في النفس.

الأبحاث النحوية:

كلُّ: مبتدأ والخبر جملة «يولد على الفطرة» والتقدير: كل انسان مولود على الفطرة.

على الفطرة: الجار والمجرور متعلق ب (يولد).

يهوّدانه: جملة يهوّدانه أو ينصّرانه خبر المبتدأ (أبواه).

البهيمة: نائب فاعل (تُنْتَج).

بهيمة: حال منصوبة بالفتحة الظاهرة.

جمعاءَ: صفة البهيمة وصفة المنصوب منصوب.

من جدعاء: من حرف جر زائد، و(جدعاء) مفعول به لتحسون.

وتزاد (منْ) في بعض المواطن: ١ ـ يعد النفي مثل: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ (١)

---

(١) سورة المائدة، جزء من الآية: ١٩.

٢ ـ بعد الاستفهام مثل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [١]؟ ويشترط أن يأتي بعدها نكرة قال ابن مالك:

(وزيد في نفيٍ وشبهه فجرّ نكرة كما لباغٍ من مَفَرّ).

إن شئتم: جملة اعتراضية، وجملة (فطرة الله) في محل نصب مفعول به لـ (اقرءوا).

التعريف براوي الحديث:

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل (أبو هريرة) رضي الله عنه، وهذه كنيته كنّاه بها النبي ﷺ واسمه الحقيقي (عبدُ الرحمن بنُ صَخْر الدَّوْسِي) وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا للأمة الاسلامية هذا الركن العظيم من الشريعة المطهَّرة ألا وهي (السنَّة النبوية) التي نقلها الينا أمثال هؤلاء الحفاظ الثقات من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم من المحدّثين الاخيار، ولقد كان أبو هريرة من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ لأنه كان يلازمه ملازمة تامة حتى شهد له الرسول الكريم بالحرص على الحديث، ودعا له بثبات الحفظ فلم يسمع شيئاً من رسول الله ﷺ إلا حفظه ببركة دعائه صلوات الله عليه، أسلم في السنة السابعة من الهجرة عام خيبر وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٥٧ هجرية ودفن بالبقيع وقبره معروف حتى الآن رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف نفحة من نفحات الجمال، وإشراقة من اشراقات النبوة، فقد وضّح عليه الصلاة والسلام ببيانه العذب، وأسلوبه اللطيف الرصين، ناحية علمية هامة، يعنى بها علماء الاجتماع، ويهتم بها الفلاسفة والمفكرون وهي: هل الدين فطرة في الإنسان؟ وهل الخير أصل فيه أم الشر؟ وهل يكون الطفل عند ولادته مزوداً بطاقةٍ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣.

روحية تلهمه السداد والرشاد؟؟ فالنبي الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وضع أصلاً من أصول التربية الخلقية الكريمة، يعتبر نبراساً مضيئاً لكل مربّ ينشد السعادة، ولكل باحث ومفكر يطلب المعرفة والحقيقة.. وهذا الأصل الذي أرشد اليه الرسول الكريم هو: ان الخير في الانسان أصيل، وأن الشر فيه عارض، وأنه يخلق على الفطرة السليمة، والصفاء والنقاء، وأن استعداده للخير كامل، ولكنَّ المجتمع هو الذي يفسده، والبيئة التي يعيش فيها هي التي تلوّث فطرته، وتفسد خلقه ودينه، ولا سيّما ابواه فهما سبب هلاكه ودماره، وسبب فساده أو صلاحه، وسبب استقامته أو اعوجاجه. فالطفل حين يولد يكون عضواً صالحاً في المجتمع، ولو خلّي بين هذا الطفل وفطرته، لنشأ على الايمان، وعاش على الخير والصلاح، ولكن المجتمع الفاسد، والبيئة المنحرفة ـ وأقرب الناس فيها الابوان ـ وهي التي تفسدنفسية الطفل، وتخرّب عقليته وفطرته، فتقلبه من الهدى إلى الضلال، ومن السعادة إلى الشقاوة، ومن الايمان إلى الكفر، ولولا الأسرة الفاسدة، ولولا المجتمع المنحرف، ولولا الأبوان الضالان، لبقي الانسان على فطرته، طيب النفس، سليم العقيدة، مندفعاً نحو حياة الفضيلة والكمال!.

فانظر ـ هداك الله ـ إلى التمثيل الرائع الذي مثّله عليه الصلاة والسلام حيث صوّر الطفل (بالشاة) التي يخلقها الله تبارك وتعالى كاملة الخلق، جميلة الشكل والصورة، ولكنَّ الناس هم الذين يشوهون جمالها، فيقطعون أنفها أو أذنها، ويعبثون بها حتى تصبح ناقصة الخلق مشوهة التصوير؟!

أفليست هذه حقيقة يدركها كل شخص، وهي أن الخلق الكامل هو خلق الله، وأن النقص إنما يأتي من فعل الإنسان؟!

فهذا الحديث الشريف ما هو إلا تصوير دقيق (لحقيقة الإنسان)وسمو به وارتفاع، من حضيض الشر القاتم، إلى افق المعرفة المشرق، وضياء الحق المنير، فالناس في جميع العصور والدهور، يولدون على الفطرة، وعلى الاستعداد التام الكامل للخير والصلاح، وصدق الله:

﴿فطرةَ اللهِ التي فطر النَّاسَ عليها لا تبديل لخلق اللهِ﴾[1]. وفي الحديث الشريف ردّ صريح واضح، على أولئك الذين ينكرون الفطرة، كما هي (الفكرة الشيوعية الخبيثة) التي تقول: ان الإنسان يخلق خالياً من كل شيء يسمى بالدوافع، وإننا نستطيع أن نصنعه كما نشاء.. فهم يعتبرونه كالآلة الصماء، أو كالدابة العجماء، ولا عجب في أن ينكروا الدين أو الفطرة، فقد انكروا من قبل وجود الله، وصدق الله حيث يقول:

﴿أولئكَ كالأنعامِ بَلْ هم أضلُ، أولئك هم الغافلون﴾[2].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

«السعداء في الآخرة»

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« سَبْعةٌ يظلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظلَّ إلاَّ ظِلُّهُ:

- إمامٌ عادلٌ.
- وَشَابٌ نشـأ في عِبادَةِ رَبِّه.
- وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعلَّقٌ في المسَاجدِ.
- ورجُلاَنِ تحابَا في اللهِ، اجْتَمَعا عَلَيْهِ وتفَرَقَا عَلَيْهِ.
- وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذَاتُ منصبٍ وَجَمالٍ فَقالَ: إني أخاف اللهَ.
- ورَجُلٌ تَصدَّقَ بصَدَقَةٍ فَاخْفَاها حَتَّى لاَ تَعْلَم شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمينُهُ.
- وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

« متفق عليه »

الابحاث العربية:

يظلهم: المراد بالظل هنا هو الظل الحقيقي حيث يكون هؤلاء السعداء تحت ظل العرش يوم القيامة بقرينة قوله (يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه) فلا يمسُّهم حر الشمس ولا وهجها، وقيل المراد بالظلّ: الكرامةُ والحماية فهو (كناية) عن الرعاية والحماية والأول أرجح.

في ظله: إضافة الظل إلى الله اضافة تشريف وهو على حذف مضاف أي في ظل عرشه وانما اضافه اليه تكريماً وتشريفاً كما يقال للمسجد (بيت الله).

إمام عادل: المراد بالامام الحاكم أو السلطان ويشمل أيضاً القاضي وكل من له ولاية على غيره والعادل الذي يحكم بالعدل بين الناس فلا يميل مع هوى ولا يرتشي بمال.

معلق في المساجد: أيُ محبٌّ لها حباً شديداً فهو ينتظر الصلاة بعد الصلاة ويصليها بالجماعة ولا يؤخرها عن وقتها كما قال تعالى في هذا الصنف ﴿والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾ (١).

تحابّا في الله: أي لأجله لا لغرضٍ دنيوي، وتحابّا أصله تحابب أدغم الأول في الثاني والتفاعل عبارة عن معنى يقتضي المشاركة أي أن كلاً منهما أحب صاحبه في الله.

اجتمعا عليه: الضمير يرجع إلى الحب في الله والمعنى اجتمعا على ذلك الحبِّ وتفرقا عليه فهو اشارة إلى أن الحب تمكن من قلب الرجلين تمام التمكن من أجل الله تعالى لا لغرضٍ دنيوي وفي الحديث «من أحبّ لله، وأبغض لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

ذات منصب: أي امرأة صاحبة جاهٍ من أصلٍ أو شرفٍ أو سلطان أو مال، وفي الحديث الشريف «تُنْكَحُ المرأة لأربع: لمالها ولحبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربَتْ يداك». ومعنى تَرِبَتْ يداكَ: أي إن لم تفعل هلكتَ.

أخاف الله: الخوف من الله هو الرهبة من عذابه وهو دليل الايمان قال تعالى ﴿وخافُونِ إن كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ﴾ (٢).

شماله ما تنفق يمينه: الشمال واليمين، اليدان اللتان بجانبي الانسان وضرب المثل بها

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

للتوضيح فلو فرضنا ان الشمال رجُلٌ مستيقظ وتصدق الإنسان بيمينه لما شعر ذلك الرجل الذي عن يساره.

ذَكَرَ الله: من الذِكر بكسر الذال فهو باللسان أو من التذكر بالفكر والقلب أي تذكر عظمة الله وجلاله فبكى من خشيته سبحانه، فيكون المراد بالذكر الذكر القلبي.

خالياً: أي بعيداً عن الناس ليكون أقرب إلى الاخلاص وأبعد عن الرياء.

ففاضت عيناه: أي سالت منها الدموع كأنها فيض لغزارتها وذلك دليل على الخوف من الله وقوة اليقين به سبحانه. وفي الحديث «عينان لا تمسها النار، عين بكت من خشية الله».

الأبحاث النحوية:

«سبعة» مبتدأ وخبره جملة يظلهم الله، وجوز الابتداء بها مع أنها نكرة لكونها على معنى الإضافة أي سبعة أشخاصٍ من الناس.

«إمام عادل»: إمام خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدهم إمام، وعادل صفة لإمام «وشاب نشأ» وشاب خبر لمبتدأ محذوف أيضاً تقديره والثاني شاب، وجملة (نشأ في عبادة الله) صفة لها. لأن القاعدة «أنّ الجمل من بعد النكرات صفاتٌ ومن بعد المعارف أحوال» ويكون التقدير وشاب ناشيء.

«قلبه معلق»: قلبه مبتدأ ثاني وخبره معلق في المساجد، والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع صفة لرجل.

«حتى لا تعلم»: بالنصب فتكون حتى للغاية وبالرفع فتكون تفريعية نحو: مرض زيد حتى لا يرجونه.

«خالياً»: حال من فاعل ذكر. أي: ذكر الله حال كونه وحيداً فريداً ليس معه أحد.

ترجمة راوي الحديث:

تقدمت ترجمة الراوي في الحديث الأول فارجع إليه في صفحة (١٥)

الابحاث البلاغية:

١ - قوله (معلّق في المساجد) فيه كناية لطيفة، فقد كنّى عن ملازمته للمسجد، وتردّدْ عليه، ومحافظته على الصلاة بالجماعة، بتعلق قلبه في المساجد، وهو (كناية عن صفة).

٢ - قوله (لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) فيه استعارة لطيفة تسمى (الاستعارة المكنية) فقد شبّه اليد اليمنى بإنسان، واليد اليسرى بإنسان، آخر وحذف المشبّه وهو الشخص الأول، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي اليد على طريق (الاستعارة المكنيّة).

٣ - قوله (دعته امرأة) كناية عن المراودة عن النفس من أجل عمل الفاحشة، وهي (كناية عن صفة).

٤ - قوله (ففاضت عيناه) مجاز مرسل على حذف مضاف أي فاضت دموع عينيه لأن العين لا تفيض إنما يفيض الدمع فيها، وذلك علامة الإيمان. قال الشاعر:

«ذاق طعم الإيمان من ذكر اللهَ ففاضت عيناه بالعبرات»

الشرح الادبي:

في هذا الحديث النبوي الشريف، تقسيم لطيف، وبيان شافٍ مجيد، لأولئك السعداء الأبرار، الذين نالوا الكرامة الالهية، والسعادة الأبدية، في دار الخلد والنعيم، بسبب ما قدّموا في الدنيا من صالح الأعمال، واتصفوا به من جميل الخصال.

فالرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - يحدثنا عن شمول العناية الإلهية والرحمة الربانية، تحت ظل عرش الله الكريم، لكل من اتصف بواحدة من تلك الخصال الحميدة، التي يحبها الله ورسوله، وقد أوضحها عليه الصلاة والسلام في أجمل عرض،

وأقوى بيان، ليلهب نفوس المؤمنين ويحرك فيهم روح الجد والاخلاص والعمل الصالح، ليسيروا على النهج القويم. ويقتدوا بالأخيار الاطهار من عباد الله الصالحين. فهو يدعو أولاً إلى مراعاة العدل، ومجانبة الظلم لكل من تولى شأناً من شؤون المسلمين، أو ولي أمراً من أمورهم، سواء كانت الولاية عامة أم خاصة. فالعدل شريعة الله، والله تعالى يمقت الظلم ويكرهه، أياً كان مصدره. وصدق الله حيث يقول: ﴿**يا داود إنّا جَعَلنَاكَ خَليفةً في الأرض، فأحْكُمْ بَينَ النّاس بالحقّ. ولا تتبّع الهَوى فيُضِلّكَ عَنْ سَبيل الله**﴾ (١).

وهو يدعو ثانياً الشباب إلى الاقبال على طاعة الله وعبادته، منذ بدء حياتهم، ونعومة أظفارهم، ليكونوا رجال المستقبل. وليحققوا (الجيل المثالي) الذي ينشده الاسلام، ولقد أثنى القرآن على فتية أهل الكهف بقوله: ﴿**إنَهُم فِتيَةٌ آمنوا برَبّهم وزَدْناهُم هُدَى**﴾ (٢) فالشباب موطن الرجاء والأمل، وهم عدة المستقبل.

وفي الخصلة الثالثة: إشادة بفضل ذلك الرجل الصالح، الذي عمر الايمان قلبه، وتعلقت جوارحه وقلبه بذكر الله عن طريقة المحافظةعلى الصلاة التي هي عماد الدين، لتتشرب القلوب حب الاجتماع والألفة، وتتوحد صفوف الأمة عن طريق الاجتماع في بيوت الله، ولقد أثنى الله عزّ وجل على هذا الصنف من الناس بقوله: ﴿**في بيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفع ويُذكَرَ فيها اسْمه ★ يُسبّحُ له فيها بالغُدُوّ والآصال ★ رجَالٌ..**﴾ (٣)

وفي الخصلة الرابعة: يدعو الرسول الكريم إلى (الحبّ في الله) ابتغاء وجهه الكريم، لا لغرض دنيوي، أو كسب مادّي، أو مصلحة دنيئة.. وهل الدين إلا حبّ في الله، واجتماع على مرضاته، والتقاء على دعوة الحقّ التي جاء بها رسول الله ﷺ، ليكون الحب طهراً وصفاء، وسمواً ونقاء!!

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٦، ٣٧.

وفي الخصلة الخامسة: إظهار لأسمى ما تصورته البشرية من طهارةٍ وسموٍ صفاء، إنه طهارة الوجدان، وصفاء الإيمان، الذي يعصم صاحبه من الانزلاق في مزالق الرذيلة، فها هي الفتنة والاغراء تتزيَّا بصورة واقعية في صورة (امرأة جميلة) ذاتِ حسبٍ ونسبٍ، تدعو الرجل إلى نفسها، وتراوده على عمل الفاحشة بها، ولكنه تجنَّب كل ذلك خوفاً من الله.

وفي الخصلة السادسة: نرى روعة البيان في أجل صورة يصورها الرسول عليه الصلاة والسلام. صورة ذلك الرجل المحسن الذي تصدَّق بصدقة خُفْية عن أعين الناس، ابتغاء مرضاة الله، فأخفى صدقته حتى عن أقرب ما يتصل به ألا وهي شماله، حتى لو تصورنا أن يمينه تصدقت بشيء لما شعرت يده اليُسرى فيما أنفق في سبيل الله.

وأخيراً يختم عليه الصلاة والسلام **حديثه الشريف بفضل البكاء من** خشية الله. **فلله** ما أروع هدي الرسول وما أجل حكمته ومغزاه!! إنَّه الهدي النبويُّ، والحكمةُ المحمدَّية.

★ ★ ★

«بين يدي الساعة»

الحديث الثالث:

عن أبي موسى الأشعري رضيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله ﷺ قال:

« إنَّ بينَ يَديْ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤمِناً ويُمسي كافراً ويُمْسي مُؤمِناً ويُصْبِحُ كَافِراً، يَبيعُ دينَه بِعَرَضٍ منَ الدُّنيا قليلٍ ».

« رواه التِرْمذِيُّ »

الأبحاث العربية:

بين يدي الساعة: أي قرب قيام الساعة وأمامها، والمراد بالساعة (القيامة) وسميت بذلك لأنها تظهرُ في أدنى لحظة من الزمن، وهي مما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه قال تعالى ﴿**يسألك النَّاسُ عنِ السَّاعَةِ قُلْ إنما عِلْمُهَا عِنْدَ الله**﴾ (١).

فتناً: جمع فتنة، والمراد بالفتن هنا (المصائب والنكبات) والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم، أو في أموالهم، أو في أولادهم، أو في عقائدهم، قال الشاعر العربي:

« إن لله عبـــاداً فُطْنـــاً طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنـا »
« نظـروا فيهـا فلمّـا علمـوا أنها ليســت لحيّ سَكَنــاً »
« جعلوهـا لجّــةً واتخــذوا صالـح الأعمال فيهـا سفنـاً »

كقِطَع الليل: جمع قطعةٍ وهي الجزء من الشيء، والمراد أن الفتن تأتي متلاحقة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

متتالية كما يأتي الليل متلاحق الاجزاء وكلما تقدّم الليل اشتدَّ الظلام.

يصبح ويمسي: معنى أصبح دخل في الصبَّاح وأمسى دخل في المساء قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حينَ تُمْسُونَ وحينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١) وفي الحديث الشريف: «أيعْجز أحدكم ان يكون مثل أبي ضمضم؟ قالوا ومن هو أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال رجل ممن كان قبلكم كان كلما أصبح أو أمسى قال اللهم إني قد جعلت عِرْضي لمن شتمني» أي عفوت عنه وسامحته.

كافراً: أي مرتداً عن الدين جاهداً بآيات الله، مشتق من الكفر بمعنى الجحود والانكار. قال تعالى: ﴿أفرأيت الذي كَفَرَ بِآياتِنَا وقالَ لأوتَينَ مَالاً وولداً﴾ (٢) الآية.

بعرضٍ من الدنيا: المراد بالْعَرَض الشيء الحقير من حطام الدنيا ونكَّر اللفظ ليشير إلى الحقارة والقلة أي بشيء قليل وحقير من الدنيا وسميَّ عرضاً لأنه يزول ولا يدوم.

الابحاث البلاغية:

١ ـ في قوله ﷺ (بين يدي الساعة) استعارة مكنية وطريق اجراء هذه الاستعارة أن نقول شبّه الساعة برجلٍ وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية بجامع القرب بين كلٍ منهما فاليد قريبة من الرجل والفتن قريبة من الساعة.

٢ ـ في قوله (فتناً كقطع الليل المظلم) تشبيه يسمى (مرسلاً مفصلاً) لأن أداة

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٧.

التشبيه قد ذكرت فيه وهي (الكاف) فهو (مرسل) من هذا الوجه و (مفصَّل) لأن وجه الشبه وهو الظلمة قد ذكر فيه وقد تمت فيه الأركان.

٣ ـ في قوله (يُصبح ويُمسي) وفي قوله (مؤمناً وكافراً) تقابل جميل، وهذا ما يسمى في علم البلاغة (الطباق) مثل قوله تعالى ﴿وتَحْسَبُهُمْ أيقَاظاً وهُمْ رقُودٌ﴾ [١] والطِباق هو أن يجمع المتكلم بين لفظين متقابلين، وقد يكون الطباق في الفعل كما في الأول (يصبح ويمسي) وقد يكون في الاسم كما في قوله (مؤمناً وكافراً) وقد يكون في الحرف مثل قوله تعالى: ﴿ولَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف﴾ [٢].

٤ ـ قولـه (يبيع دينه بعـرضٍ مـن الدنيا) جملة خبرية يقصد منها (التحذير والتخويف).

الابحاث النحوية:

جملة (بين يدي الساعة) خبر إنّ مقدم و (فتناً) اسمها مؤخر، وجملة (كقطع الليل المظلم) صفة لفتناً لأن الجمل بعد النكرات صفات و(يصبح الرجل مؤمناً) الرجلُ اسم أصبح التي هي من أخوات كان و(مؤمناً) خبرها وكذلك في (يمسي) لها اسم وخبر لأنها أيضاً من أخوات كان. (يبيع دينه بعرض..الخ) هذه الجملة كالتعليل لما سبقها، فكأن سائلا يقول لم يحدث ذلك؟ فقال يبيع دينه بعرض من الدنيا.

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث الصحابي الجليل (ابو موسى الاشعري) رضي الله عنه، واسمه (عبد الله بن قيس) وهو من قبيلة الأشعريين الذين أثنى عليهم النبي ﷺ بقوله «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم».

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

أسلم رضي الله عنه ورجع إلى بلاد قومه، ثم قدم المدينة مع الأشعريين وهم نحو خمسين رجلاً في سفينة فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا خروج (جعفر بن أبي طالب) وأصحابه منها فأتوا معهم وقدمت السفينتان معاً على النبي ﷺ بعد فتح خيبر، واستعمله النبي ﷺ على بعض بلدان اليمن، ثم استعمله (عمر) على البصرة فافتتح الأهواز وأصبهان، وفي خلافة عثمان استعمله على الكوفة. وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن سمعه النبي ﷺ ذات ليلةٍ وهو يقرأ فقال له: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» وكان عمر إذا رآه قال له :(ذكّرْنا ربنا يا أبا موسى) فيقرأ عنده القرآن، وأبو موسى هو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم القرآن.

قال (ابن المديني): (قضاة الأمةأربعة: عمر، وعلي، وأبو موسى، وزيد بن ثابت) مات سنة ٤٢ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف صفحة من صفحات الجمال الفنيِّ في روعة العرض، وسمو التصوير والتشبيه.. فإن الانسان ليحس بالبلاء الذي ينزل، والفتن التي تحيط به، وكأنها ملموسة محسوسة، تلاحقه كما يلاحق الظلام غسق الليل، وتلازمه كما يلازم الهلع قلب الجبان.. وأي انسان لا يفزع وهو يرى ذلك المنظر المخيف، وتلك الصورة الرهيبة، التي تملك عليه شعوره وإحساسه؟!

صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش، يطارد بعضها بعضاً، وتشتد هذه الفتن كاشتداد الظلام.. يبدأ رويداً رويداً، ثم لا يزال يشتدُ، ويشتدُّ، حتى يعمَّ أرجاء الكون، ويصبح ظلاماً مطبقاً دامساً، لا يرى فيه الانسان ما حوله ﴿**إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نورٍ**﴾[1]!!

وإن الناظر ليلمس خطر هذه الفتن العصيبة، والمحن المريرة في الانقلاب العظيم، الذي تحدثه في نفوس البشر.. إذ ينقلب الانسان ـ ما بين عشية وضحاها ـ من الايمان

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

إلى الكفر، ويعود من الهدى إلى الضلال، وينتقل من النور إلى الظلام، فيصاب بأعظم نكسة، وأفدح مصيبة!! وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والايمان؟ وهل هنالك من خسارة توازي هذه الخسارة؟!

انها «المادية الطاغية» التي حدثنا عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن هوى.. إنها فتنة المادة، التي تجرف في تيارها أصحاب النفوس المريضة، الذين عاشوا (لبطونهم) و (شهواتهم) ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فخدعوا ببريقها، واغتروا بحطامها، حتى باعوا أقدس شيء لديهم ألا وهو (الايمان) بأتفه شيء ألا وهو (الحطام) ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهُدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾[1] !! إنه (طغيان المادة) الذي يطغى على القيم الروحية، والخلقية، والدينية، فيجعل الفرد لا يفكر إلا في المادة، ولا يعيش الا من أجل المادة.. فهل بعد هذا الانتكاس من انتكاس؟؟ ﴿**رَبَّنا لا تزغ قلوبنا بَعْدَ إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب**﴾[2].

★ ★ ★

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.